

حقيقة النفاق

وأنواعه

في ضوء الكتاب والسنة

وفهم سلف الأمة

إعداد :

علي رمضان أبو العز

غفر الله له ولولديه ولسائر المسلمين

مقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء و المرسلين ،وعلى آله وصحبه ومن اتبعه إلى يوم الدين وبعد

فإن الإنسان متى ما وفقه الله تعالى وهداه إلى الدخول في الإسلام فإنه قد تخطى بذلك عقبة كئودا في طريقه إلى رضوان الله تعالى عز وجل حيث قال تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)¹.

وبعد الدخول في الإسلام، ستكون هناك عقبة أخرى لا بد لكل مسلم أن يتجاوزها لكي يتم إيمانه وهي التي جاءت في قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)²، وهذه العقبة هي عقبة الريبة والشك التي إن توقف عندها المسلم وقع في النفاق دون أن يشعر، ومثله في ذلك كالتائب الذي تم قيده في إحدى كليات الجامعة، فهو منتسب إليها، ولكنه لا يواظب على حضوره فيها، ولا يستعد لاختباراتها فهو وإن كان منتسبا إليها، كان كمن هو

1 آل عمران 85
2 الحجرات 15

خارجها لأنه لا يهتم بأمور دراسته بها، ومن هنا فقد راودتني فكرة تأليف هذا الكتاب منذ سنوات عديدة، عندما لاحظت عدم اهتمام أغلبية المسلمين في هذا الزمان بأمور عقيدتهم عامة وبحقيقة النفاق بصفة خاصة وتربى على ذلك الصغير، وهرم على جهلها الكبير، وسبب ذلك الاكتفاء بالمناهج الدراسية التي لم تتناول هذا الموضوع بالدراسة والتحليل اللازمين ، وأود أن أشير إلى أن الإصرار على عدم معرفة الحق وبذل الجهد في سبيل تحصيله يوقع حتما صاحبه في الزلل مصداقا لقول الشاعر:

**عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس
يقع فيه**

ورضى الله تعالى عن الصحابي الجليل امين سر رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان الذي نبهنا إلى هذه الحقيقة في الحديث المشهور عندما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفتن فقال رضي الله عنه : كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى..... الحديث¹

1 رواه البخارى.

وأغلبية المسلمين في هذا العصر: إذا سألتهم عن النفاق والمنافقين قالوا إن النفاق هو إظهار الإسلام وإخفاء الكفر، دون إبداء الأسباب الحقيقية لهذا التعريف، وحين نقرأ بعض آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن المنافقين مثل قوله تعالى: (وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ)¹، وتساءلنا إن كان هؤلاء يخفون الكفر ويظهرون الإسلام فلماذا يأتون إلى الصلاة وهم كسالى؟ أليس بإمكانهم الإدعاء كذبا أنهم قد صلوا في رحالهم؟.

وإذا قرأنا في سورة المنافقين قوله عز وجل: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ)²، علمنا إجابة السؤال السابق، أن المنافقين قد دخلوا في الإسلام حقا ثم كفروا لوقوعهم في إحدى شُعب الكفر التي سيأتي بيانها فيما بعد، وإذا فإن هناك نوع آخر من النفاق غير الذي نعرفه، وهذه الحقيقة غابت عن بعض مناهج التعليم في هذا العصر لأنها مناهج تعتمد في جزء كبير منها على تفسير أمور العقيدة بالرأي والعقل وتأويل اللغة وتناهى عن

1 التوبة 54.
2 المنافقون 3

الاعتماد على كتاب الله عز وجل، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وفهم الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين.

هذا، ولقد جمعت ما يسرّه الله تعالى لي من آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، وآثار السلف واجتهاداتهم في المسألة، فوجدتها والله الحمد والمنة قد تطابقت واتفقت مع ما كنت أرجو من الوصول إلى حقيقة النفاق ، ولست أزعم أن جميع ما في هذه الدراسة صواباً فليس من معصوم إلا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، فإذا صح شيء من هذا البحث فبتوفيق من الله عز وجل وما زل منه فمن نفسي ومن الشيطان واسأل الله عز وجل السداد في القول والعمل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الفصل الأول

معنى النفاق في اللغة والشرع

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله تعالى : لفظ النفاق قد قيل ، أنه لم تكن العرب تكلمت به ولكنه مأخوذ من كلامهم فإن نفق يشبه خرج ومنه نفقت الدابة: إذا ماتت -خرجت منها الروح- ، ومنه نافقا واليربوع (حيوان صحراوي يقوم بكتف احد جحريه ويظهر غيره) ، والنفق في الأرض قال تعالى: (وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ)¹ ، فالمنافق هو الذي خرج من الإيمان باطنا بعد دخوله فيه ظاهراً ، وقيد النفاق بأنه نفاق من الإيمان، ومن الناس من يسمي من خرج عن طاعة الملك نافقا عليه، لكن النفاق الذي في القرآن هو النفاق على الرسول صلى الله عليه وسلم، فخطاب الله ورسوله للناس بهذه الأسماء كخطاب الناس بغيرها وهو خطاب مقيد خاص لا مطلق يحتمل أنواعاً². انتهى كلامه رحمه الله.

والنفق كما هو معلوم في عصرنا الحاضر هو سرب في الارض او الجبل له مدخل ومخرج، والإسلام هو الطريق الذي يسلكه من أسلم

1 الأتعام 35.
2 كتاب الإيمان لابن تيمية.

وإذا استمر فيه على شرع ومنهاج الله عز وجل ، فإنه يؤدي به إلى الإيمان ، ثم إلى الإحسان ، ثم إلى لقاء الله عز وجل في الجنة ، وهناك من يدخل الإسلام بالشهادتين، وقد يصلي، ويزكي، ويحج بيت الله الحرام ، ويصوم شهر رمضان، ولكنه يخرج من الإسلام عن طريق شُعب الكفر المعروفة في القرآن والسنة النبوية الشريفة ومنها: كفر الشك ، أو كفر الجحود، أو كفر الاستكبار، أو كفر الاستهزاء... إلى آخره، والصنف الأغلب والذي نحن بصدده هو كفر الشك في أحد أركان الإيمان الست وما يتعلق بها وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وهذه حالة النفاق التي وردت بشأنها أغلب الآيات القرآنية التي تحدثت عن النفاق، وأما النفاق الذي سببه التظاهر بالدخول في الإسلام خوفا من القتل أو السبي أو طمعا في مغانم المسلمين فقد وردت بشأنه آيات قليلة بالنظر إلى آيات النفاق كلها وسنستعرضها بالتفصيل في الفصول اللاحقة بإذن الله تعالى والله الموفق.

الفصل الثاني

نفاق الخوف من القتل أو السبي

وهذا النوع من النفاق يختص بمعظم المنافقين الذين كانوا يقيمون خارج المدينة فمنهم من أسلم في مكة ولم يهاجر إلى المدينة مع المقدرة على ذلك، ومنهم من أسلم من الأعراب حول المدينة وخارجها وهم الذين أظهروا الإسلام عند لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا رجعوا إلى قبائلهم عادوا إلى الكفر، وإنما أظهروه أمام المسلمين خوفا من القتل أو السبي وهؤلاء ، وأولئك نزل فيهم قول الحق تبارك وتعالى: (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا. وَذُؤا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُلِيًّا وَلَا نَصِيرًا. إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا)¹،

تحدث الآيات السالفة عن المنافقين خارج المدينة وتنتهي المؤمنين

1 النساء (88 - 90).

عن موالاتهم، أو مصادقتهم حتى يحققوا إيمانهم المزعوم بالهجرة،
والجهاد في سبيل الله، وإذا أعرضوا عن ذلك فقد أمر الله عز وجل
المؤمنين أن يأخذوهم ويقتلوهم حيث وجدوهم، ولا يستنصروهم
،ولا يستعينوا بهم حتى ولو بذلوا للمؤمنين الولاية والنصرة
ويستثنى من هؤلاء المنافقون الذين يلجأون إلى قوم عاهدوا
المسلمين فدخلوا بينهم بالحلف، فحكمهم حكم أولئك في حقن دمائهم،
كما يستثنى أيضا من القتل المنافقون الذين ضاقت صدورهم من
قتال المسلمين وقتال قومهم من الكفار والمشركين، فهم قوم ليسوا
مع المؤمنين ولا عليهم، ومن لطف الله عز وجل بالمؤمنين أن كف
أذاهم عن المسلمين، فإن لم يتعرضوا لقتال، وانقادوا أو استسلموا
للمسلمين فليس للمسلمين أن يقاتلوهم ما سالموهم، وهذه الآيات ،
قال في تفسيرها أبو السعود: هم قوم من أسد وغطفان كانوا إذا أتوا
المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا من المسلمين فإذا رجعوا إلى قومهم
كفروا أو نكثوا عهدهم ليأمنوا قومهم¹.

وأمثال هؤلاء إذا خرقوا عهدهم للمسلمين ولم يكفوا أيديهم عن
قتالهم فان الله عز وجل أباح للمسلمين قتلهم لقيام الحجة الواضحة
على غدرهم وخيانتهم.

1 مختصر تفسير ابن كثير 1/ 422.

وهذا النوع من المنافقين هو نوع مؤقت مثله كمثل نفاق الدخول في الإسلام للمنفعة وللکسب المادي، وخاصة بعد قيام دولة الإسلام، وانتشار الدين فلا إكراه في دخوله لمن لم يدخله حقاً، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا الصنف أن هؤلاء قد يحسن إسلام أحدهم فيصير من المؤمنين كأكثر الطلقاء [الذين أسلموا عند فتح مكة]، وقد يبقى من فساق الملة ومنهم من يصير منافقاً مرتاباً،¹ أي يتحول إلى نفاق الشك والارتياب وهذا النوع الأغلب من النفاق وموضوع هذا البحث والله من وراء القصد.

1 كتاب الإيمان.

الفصل الثالث

نفاق الريبة والشك في القرآن الكريم

يمثل هذا النوع من النفاق أكثر المنافقين الذين ورد بشأنهم أغلبية الآيات القرآنية الخاصة بالنفاق، وكذلك الأحاديث الصحيحة المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والآثار الموقوفة على الصحابة والتابعين، وسبب استثناء هذه الفئة بهذا القدر الكبير في الشريعة الإسلامية ، أنها هي الفئة المستمر وجودها إلى يوم الدين، والتي أشرنا في الفصل السابق الى أن الأنواع الأخرى من النفاق يتحول إما إليها، أو إلى الإيمان، أو إلى الفسوق بمرور الزمن، وهذا الصنف هو الذي وردت فيه أول آيات النفاق في القرآن الكريم في سورة البقرة حيث يقول عز من قائل: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ. يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ. فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ. وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ

قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ. اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ. مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ. صُمُّ بُكْمٌ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ. أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ. يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ¹، ثلاث عشرة آية نزلت في منافقي الريبة والشك وقد نزل قبلها أربع آيات في المؤمنين وآياتان في الكافرين، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على التنبيه إلى عظيم خطر وضرر المنافقين، كما يدل ذلك أيضاً على أن هذا القدر من الآيات لم ينزل في فئة محددة انتهت بانتهاء عصر النبوة، وإنما في فئة يمتد وجودها إلى قيام الساعة وفيما يلي تفسير الكلمات التي تظهر وتبين منافقي الريبة والشك.

1- العمه الوارد في كلمة يعمهون تعني التحير والتردد في الشيء قال الفخر: العمى عام في البصر والرأي والعمه في الرأي خاصة وهو التردد والتحير، لا يدري أين يتوجه¹.

2- قال البيضاوي رحمه الله في تفسير الآيات السالفة: هذا هو القسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وهم أخبت الكفرة، وأبغضهم إلى الله ولذلك أطال في بيان خبثهم وجهلهم واستهزائهم².

وفي الآيات السالفة بيان لجهل المنافقين، فظنهم أن مجرد نطقهم بالشهادتين وادعاء اليقين بالله واليوم الآخر، سيكتب لهم النجاة كامتحانات الدنيا التي لا يشترط فيها التصديق والإيمان بالإجابة الصحيحة لأسئلة الامتحان، فهم يعتقدون بجهلهم أنهم يخدعون الله بذلك وما علموا أن الله عز وجل لا يخدع لأنه لا تخفى عليه خافية، وفي قوله تبارك وتعالى: (وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون) أي لا يحسون بذلك، ولا يفطنون إليه لتماديهم في غفلتهم، ويُسْتَفاد من ذلك أن عدم الشعور بالنفاق لا يعذر صاحبه عند الله عز وجل ، وفي قوله تعالى: (فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا) ، أي في

1 التفسير الكبير للفخر الرازي.
2 تفسير البيضاوي 11/1.

قلوبهم شك ورجس فزادهم الله رجسا فوق رجسهم وضلالا فوق ضلالهم، قال ابن أسلم هذا مرض في دينهم وليس مرض في الجسد وهو الشك الذي اضلهم في الإسلام فزادهم رجسا وشكا¹.

وفي قوله تعالى: (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) قال الفخر الرازي والتشبيه في الآيات في غاية الصحة لأنهم بإيمانهم أولا اكتسبوا نورا، ثم بنفاقهم أبطلوا ذلك النور وأطفأوه، ووقعوا في حيرة عظيمة لأنه لا حيرة أعظم من حيرة الدين لخسران انفسهم أبد الأبدين².

والمتدبر لقول الله عز وجل : (ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين) ، يتبين له أن الشك الحادث للمنافقين إنما هو حادث في وقوع يوم البعث والحساب ، فإنهم يقرون بوجود الله عز وجل، حالهم في ذلك الكفار والمشركين الذين قال الله عز وجل فيهم : (وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ)³.

1 مختصر تفسير ابن كثير.
2 صفوة التفاسير.
1 العنكبوت 61.

فالمنافقون يعتقدون وجود الله عز وجل، ويشكون في يوم القيامة، وشكهم ذلك بمثابة النفاق الاعتقادي المؤدي الى الكفر بالله عز وجل ، ولذا كان اليقين باليوم الآخر، والاستعداد له هو الفيصل بين المؤمنين والمنافقين، كما سنفصل فيما بعد إن شاء الله.

وفي سورة آل عمران يقول الله عز وجل: (وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانَ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ. وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ)¹.

وما زلنا في سياق آيات القرآن الكريم التي تؤكد نوع النفاق القائم على الريبة_والشك وتتحدث الآيات سالفة الذكر عن المنافقين الذين دُعوا الى القتال مع المسلمين في غزوة أحد وما أصاب المسلمين فيها بقضاء الله وقدره ليتميز المؤمنون من المنافقين كعبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه الذين تخاذلوا في يوم أحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجعوا، وكانوا نحواً من ثلاثمائة رجل ، فقال لهم المؤمنون: تعالوا قاتلوا المشركين معنا ، أو ادفعوا بتكثيركم سوادنا ، فقال لهم المنافقون لو نعلم قتالاً لاتبعناكم ولكن لا نظن أن يكون

2 آل عمران 166-167.

هناك قتال، وهذا يرجع إلي شكهم في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وريبهم في أمر الآخرة، ولذا قال الله عز وجل بعدها مباشرة " هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان " أي بقولهم هذا صاروا أقرب إلى الكفر منهم إلى الإيمان.

وفي سورة النساء يقول الله عز وجل: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا. مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا)¹.

تؤكد الآيات سالفة الذكر حال منافقى الريبة والشك المتذبذب، وأن أعمالهم يشوبها التردد وعدم الإلتقان، ولذا قال الله عز وجل: (وإذا قاموا للصلاة قاموا كسالى)، أي يصلون وهم متثاقلون متكاسلون، ولم يأت بمعنى أنهم يتظاهرون بأداء الصلاة ، فيدل ذلك على أنهم يصلون فعلا، ولكن لشكهم في الثواب والعقاب، فإنهم يؤدونها بتردد وتكاسل ، كما أنهم يذكرون الله ولكن قليلا للسبب نفسه، ثم جاء قوله تعالى: (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا)، أي لا ينتسبون إلى المؤمنين ولا إلى الكافرين نتيجة لشكهم في الإيمان بالله واليوم الآخر.

1 النساء 142-143.

وفي سورة التوبة يقول الله عز وجل: (لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ). إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ¹.

وتؤكد الآيات نفاق الريبة والشك في منافقى المدينة، ومعناها إنما يستأذنك يا محمد في عدم الخروج معك الى غزوة تبوك المنافقون الذين لم يثبت الإيمان في قلوبهم وشكوا في ثواب الله فهم يترددون حيارى لا يدرون ما يصنعون².

1 التوبة 44-45.
2 صفوة التفاسير.

الفصل الرابع

نفاق الريبة والشك في السنة النبوية

إن اليقين بثوابت الإيمان والعمل بموجبه هو الفيصل بين المؤمنين والمنافقين بل هو الفيصل بين الإيمان والكفر مصداقا لقول الله عز وجل : (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ. بَلِ ادَّارِكْ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ)¹، قال ابن كثير رحمه الله: هم شاكون في وقوعها ووجودها.

وقال عز من قائل : (وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)².

ولما كانت السنة النبوية الشريفة قد جاءت مؤكدة ومفصلة لآيات الله عز وجل فإننا سنورد من الأحاديث الصحيحة المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما يؤكد ذلك ويرسخه في أذهاننا، قال النبي

1 النمل 65-66.
2 الجاثية 32-33.

صلى الله عليه وسلم: ثلاثة لا تسأل عنهم رجل ينازع الله إزاره ، وإزاره العز، ورجل في شك من أمر الله والقنوط من رحمة الله ¹.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما من نفس تموت وهي تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله يرجع ذلك إلى قلب موقن إلا غفر الله له ².

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: مثل المنافق كمثل الشاه العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة لا تدري أيهما تتبع ³.

وهذه الأحاديث توضح بجلاء أن المنافق ليس بالضرورة أن يكون كافراً في الأصل ويتظاهر بالإسلام، بل إنه قد دخل الإسلام حقاً، ثم توقف عند الريبة والشك في أحد ثوابته فكان ذلك هو كفره (كفر الشك) فهو غير متيقن أي الفريقين على الحق.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيتُه في مقامي هذا حتى الجنة والنار، ولقد أوحى أنكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريباً من فتنة المسيح الدجال يؤتى أحدكم فيقال له ما علمك بهذا الرجل ، فأما المؤمن أو الموقن فيقول هو محمد

1 رواه أحمد وابن حبان وصححه الألباني.

2 رواه أحمد وابن حبان وحسنه الألباني.

3 رواه مسلم وأحمد وصححه الألباني.

رسول الله , جاءنا بالبينات والهدي فأجبنا وأمنا وأتبعنا هو محمد (ثلاثاً) فيقال له نم صالحاً، قد علمنا أن كنت لموقناً به، وأما المنافق أو المرتاب ، فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته¹، وفي حديث آخر بنفس بالمعني ، وفيه زيادة: يقال للرجل الصالح في قبره فيم كنت؟ فيقول كنت في الإسلام، فيقال له من هذا الرجل؟ فيقول محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله، فصدقناه، فيقال له :هل رأيت الله ؟ فيقول ما ينبغي لأحد أن يرى الله ، فيفرج له فرجة قبل النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً، فيقال له أنظر إلى ما وراك الله تعالى ثم يفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له هذا مقعدك ويقال له علي اليقين كنت، وعليه مت، وعليه تُبعث إن شاء الله ويجلس الرجل السوء في قبره فزعاً مشعوباً فيقال له: فيم كنت فيقول لا أدري فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول سمعت الناس يقولون قولاً فقلته فيفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له: أنظر إلى ما صرف الله عنك ثم يفرج له فرجة إلى النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً

1 متفق عليه

فيقال: هذا مقعدك, **على الشك كنت، وعليه مت وعليه تبعث إن شاء**
الله، ثم يعذب 1.

ومن هذه الأحاديث، وغيرها يتضح أهميه اليقين بالآخرة وما بها
من حساب وعقاب، وجنة، ونار، وأن ذلك هو الفيصل بين المؤمن
والمنافق.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أخبركم بصلاة المنافق ؟
ان يؤخر العصر حتى اذا كانت الشمس كثر ب البقرة - أي على
وشك الغروب - صلاها 1

ويفيد هذا الحديث أن المنافق يصلي ولكن صلاته ينقصها الإتيان
والأداء في وقتها مع الجماعة فهي إذن صلاة دون اليقين بجدواها
نتيجة لشكه وارتيابه في ثوابت الإيمان.

والاستمرار على ذلك الشك حتى الموت يحول بين صاحبه وبين
النطق بكلمة التوحيد عند الوفاة مصداقاً لقول الله عز وجل : (وَحِيلَ
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي
شَكِّ مُّرِيبٍ). 2.

1 رواه الدارقطني والحاكم وصححه الالباني.
2 سبأ 54

الفصل الخامس

النفاق مستمر إلى يوم القيامة

يعتقد الكثير من الناس أن النفاق قد زال بزوال عهد النبوة وهؤلاء الذين يفهمون النفاق على أنه الدخول في الإسلام خوفاً من السبي أو القتل أو طمعا في غنائم المسلمين، ولأن الناس في عصرنا الحاضر لا يرون جهادا، أو غزوا في سبيل الله، فإن النفاق الذي يفهمونه قد انتهى إلى يوم القيامة، وغاب عن أذهان هؤلاء أن الشك والريبة هما سببا النفاق المستمر إلى يوم القيامة، وها نحن نرى في عصرنا الحاضر ما يدل على ذلك من خلال المظاهر التالية:-

- 1- الاستهزاء والسخرية من اليوم الآخر.
 - 2- الإهمال الشديد في أداء أركان الإسلام مثل الصلاة والزكاة والحج.
 - 3- عدم الاهتمام بأمور الآخرة وتحري الحلال من الحرام.
 - 4- عدم الاستعداد للرحيل من الدنيا، والاعتزاز بطول البقاء فيها.
 - 5- عدم الاهتمام بعلوم الدين والعقيدة، والاكتفاء بما يدرس من مناهج التعليم.
- والدليل على استمرار النفاق إلى يوم القيامة هو ما ورد من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامات الساعة والفتن التي ستقع قرب يوم القيامة ومنها قوله: فتنة الأحلاس هرب وحرب ، ثم

فتنة السراء دخنها من تحت قدم رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني ،
وليس مني وإنما أوليائي المتقون، ثم يصطلح الناس على رجل
كورك على ضلع ،ثم فتنة الدهماء لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا
لطمته لكمة ، فإذا قيل انقضت تمادت ، ويصبح الرجل فيها مؤمناً
ويمسي كافراً حتى يصير الناس إلى فسطاطين فسطاط إيمان لا
نفاق فيه ، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه حتى إذا كان ذلكم فانتظروا
الدجال من يومه أو غده)¹.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية مؤكداً استمرار النفاق: النفاق أنواع
وشعب كثيرة وليس نوعاً واحداً كما أن كثيراً من المتأخرين يغفلون
عنها، وبهذا يظهر الجواب عن شبهات كثيرة تورد في هذا المقام ،
فإن كثيراً من المتأخرين ما بقى في المظهرين للإسلام عندهم إلا
عدل وفاسق، وأعرضوا عن حكم المنافقين -ظنا منهم أن عهد
النفاق قد انتهى، ومضى زمنه- ،والمنافقون ما زالوا، ولا يزالون
إلى يوم القيامة، والنفاق شعب كثيرة وقد كان الصحابة يخافون
النفاق على أنفسهم². وصدق القائل :

1 رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني.
2 كتاب الإيمان لأبن تيمية.

يؤذون أهل التقى بغيا

ما زال فينا ألوف من بني سبأ

وعدوانا

أضحى النفاق لهم سمتا

ما زال لابن سلول شيعة كثروا

وعنوانا

الفصل السادس

النفاق درجات

يعتقد كثير من الناس خطأ أن المنافقين هم صنف واحد ليس له أي علاقة بالمسلمين المؤمنين ، وهذا ليس صحيحاً علي إطلاقه، فالنفاق درجات، والايمن ايضاً، وحينما يصل النفاق إلي أعلي درجة يكون الإيمان في أقل درجة والعكس صحيح، والمسلم قد يكون في قلبه إيمان ونفاق تختلف درجتها باختلاف الفرد والمنافق المحض هو الذي بلغ النفاق فيه أكبر حد حتى تلاشي الإيمان لديه وانعدم، وهذا النوع من المنافقين الذي قلبه أسود، وهذا الذي يكون في الدرك الأسفل من النار، ولهذا كان الصحابة يخشون علي أنفسهم من النفاق ولم يخافوا التكذيب لله ورسوله، فإن المؤمن يعلم من نفسه أنه لا يُكذب الله ورسوله يقيناً وهذا مستند من قال أنا مؤمن حقاً فإنه أراد بذلك ما يعلمه من نفسه من التصديق الجازم، ولكن الإيمان ليس مجرد التصديق بل لابد من أعمال قلبية تستلزم أعمالاً ظاهرة كما تقدم فحب الله ورسوله من الإيمان وحب ما أمر الله به وبُغض ما نهى عنه وهذا من أخص الأمور بالإيمان.¹

1 كتاب الإيمان لابن تيميه.

ولذا أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن في أصحابه اثني عشر منافقاً منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط¹، وهكذا كان فهم الصحابة رضوان الله عليهم، فقد رُوي عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: القلب أربعة، قلب أغلف فذلك قلب الكافر، وقلب مصفح، وذلك قلب المنافق، وقلب أجرد فيه سراج يُزهر فذلك قلب المؤمن، وقلب فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل شجرة يمدّها ماء طيب ومثل النفاق مثل قرصة يمدّها قيح ودم فأيهما علا عليه غلب².

وهذا الذي قاله حذيفة رضي الله عنه موافقاً لقول الله عز وجل: (هُم لِّلْكَفْرِ يَوْمٌ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ)³، فقد كان مثل ذلك فيهم نفاق مغلوب فلما كان يوم أحد غلب نفاقهم فصاروا إلى الكفر أقرب.

كما رُوي عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إن الإيمان يبدو لمظة بيضاء في القلب فكلما ازداد العبد نفاقاً ازداد القلب سوءاً، حتى إذا استكمل النفاق اسود القلب، وايم الله لو شققتم عن قلب المؤمن لوجدتموه أبيض، ولو شققتم عن قلب المنافق والكافر لوجدتموه أسود، وقال ابن مسعود: الغناء ينبت النفاق في

2 رواه مسلم وأحمد وصححه الألباني.

3 رواه أحمد وصححه الألباني.

4 آل عمران 167.

القلب كما ينبت الماء البقل، ولهذا قال يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فعلم أنه من كان معه من الإيمان أقل القليل لم يخلد في النار، وإن كان معه كثير من النفاق فهو يعذب في النار علي قدر ما معه من ذلك ثم يخرج من النار.

لهذا فإن واجب كل من دخل في الإسلام الخوف علي نفسه من النفاق أسوة بأصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم، وهم من خير البشر، فقد روي عن الحسن رضي الله عنه قوله عن النفاق: ماخافه الا مؤمن ولا آمنه الا منافق، كما قال أيضا: ما مضى مؤمن قط ولا بقى الا وهو من النفاق غير آمن، وما مضى منافق قط، ولا بقى الا وهو من النفاق آمن، وروي البخاري في صحيحه عن ابن أبي مليكة قال أدركت ثلاثين من أصحاب محمد صلي الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق علي نفسه ما منهم أحد يقول: إيمانه كإيمان جبريل.

الفصل السابع

الصفات القولية والفعلية للمنافقين

الاول: خُلف العهد مع الله عز وجل:-

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان،¹ وفي رواية لمسلم وإن صام وصلي، وزعم إنه مسلم وأغلبية الناس يطبقون هذا الحديث فقط علي معاملات البشر بعضهم لبعض وينسون أن يطبقوه علي علاقة البشر بربهم، وإن من أكبر أنواع الكذب وخُلف الوعد، وخيانة الأمانة هو نقض عهد الله وميثاقه، وعدم الإذعان لأوامره، فإن شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، تلزم كل من أتى بها أن ينفذ ما أمره الله ورسوله به، وأن ينتهي عن ما نهى الله ورسوله عنه قال تعالى: (وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ. وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ. وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ. أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ. إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا

1 متفق عليه.

وَأَطَعْنَا وَأَوْلَيْنَاكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ¹، قال الفخر الرازي رحمه الله: نَبَّهَ اللهُ تعالى علي إنهم إنما يُعرضون متي عَرَفُوا أن الحق لغيرهم أما إذا عرفوه لأنفسهم عدلوا عن الأعراض وأذعنوا ببذل الرضا²، وما النفاق إلا عقاب من الله عز وجل لكل من أخلف عهده معه قال تعالى: (وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللهُ لَئِنِ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ. فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخُلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ. فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهُ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ).³

الثاني: التكاثر عن أداء الصلاة وحضورها مع الجماعة:-

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: أثقل الصلاة علي المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً ولقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام ثم أمر رجلاً فيصلي بالناس ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار.⁴

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: من سره أن يلقي الله غداً مسلماً فليحافظ علي هذه الصلوات حيث ينادي بهن، فإن الله شرع

1 النور 47-51.

2 التفسير الكبير 4/54.

3 التوبة 75-77.

4 متفق عليه.

لنبيكم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلي مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها سيئة ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يهادي بين الرجلين حتى يقام في الصف.¹

الثالث: الاعتماد على سعة رحمة الله عز وجل دون تقديم العمل الصالح:-

قال الله تعالى: (يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ. يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتِنْتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ. فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) ،² قال قتادة: مازال -المنافقون- على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله في نار

1 رواه مسلم.
2 الحديد 13-15.

جهنم،¹ وقال المفسرون الغرور بفتح الغين الشيطان لأنه يغر ويخدع الإنسان قال تعالى: (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً).

الرابع: الإعراض عن الاستغفار والتوبة:-

يظن المنافقون أنهم لم يفعلوا ذنباً تستوجب التوبة والاستغفار منها، وهذا أيضاً من الاغترار والجهل بأسماء الله وصفاته، فكما أنه جل شأنه غفور رحيم، فإنه شديد العقاب لمن استهان بعذابه، ويؤكد ما سبق قول الله عز وجل عنهم: (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووارعوسهم ورأيهم يصدون وهم مستكبرون)، أي إذا قيل لهؤلاء المنافقين هلموا إلي رسول الله حتى يطلب لكم المغفرة من الله عز وجل حرّكوا رءوسهم استهزاءً واستكباراً معرضين عما دعوا إليه، وقال تعالى عنهم أيضاً: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا)،² وقد روي عن عبد الله ابن مسعود أنه قال: (المؤمن يري ذنبه كالجبل يخاف أن يقع عليه،

3 تفسير الخازن.
1 النساء 64.

والمنافق يري ذنبه كذباب وقع علي أنفه فقال به هكذا)، أي ذنبه وطيره بحركة يديه، رواه البخاري.

الخامس: قلة ذكرهم لله عز وجل:-

إن المنافقين يشكّون في جدوى ذكر الله وفي مكانته عند الخالق عز وجل، ولقد قرر رسول الله صلي الله عليه وسلم: أن الدعاء هو العبادة¹ في أكثر من حديث صحيح، وأفضل الدعاء الذكر، قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو علي كل شيء قدير².

وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: أفضل الذكر: لا إله إلا الله وأفضل الدعاء: الحمد لله،³ وسبب قلة ذكر المنافقين لله عز وجل أنهم سلموا قيادهم للشيطان، ولأنفسهم الأمانة بالسوء فأوصلهم ذلك إلي نسيان ذكر الله عز وجل قال تعالى عنهم: (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ

1 رواه أحمد وابن حبان وصححه الألباني.

2 رواه مالك وحسنه الألباني.

3 رواه الترمذي وابن حبان.

هُمُ الْخَاسِرُونَ¹، أي استولى علي قلوبهم وتملك نفوسهم حتى أنساهم أن يذكروا ربهم ويستنبروا بشره في حياتهم.

السادس: عدم فهمهم للقرآن، وعدم تدبرهم له:-

إن من نتائج الشك في اليوم الآخر، ونكث عهد الله ورسوله في عدم طاعتها، هو أن الله عز وجل قد أنزل عقوبته علي المنافقين فجعلهم في غشاوة مستمرة إلي يوم البعث والحساب، مصداقاً لقول الحق تبارك وتعالى: (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا. وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا)².

إذا فالمنافق يمكن أن يقرأ القرآن أو يُقرأ عليه ولكنه لا يعمل بموجبه بسبب الغشاوة التي تمنعه من فهمه وتطبيقه، لذا قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة، طعمها طيب ولا ریح لها، ومثل الفاجر –المنافق- الذي يقرأ

1 المجادلة 19.
2 الإسراء 45-46.

القرآن كمثّل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثّل الفاجر – المنافق- الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظله طعمها مر ولا ريح لها¹. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: **إن من المنافقين من يصدق أنه كلام الله وأن الرسول حق ولا يكون مؤمناً، كما أن اليهود يعرفونه كما يعرفون أبنائهم وليسوا بمؤمنين، وكذلك إبليس، وفرعون، وغيرهما، لكن من كان كذلك لم يكن حصل له العلم التام والمعرفة التامة، فإن ذلك يستلزم العمل بموجبه لا محالة.**

السابع: عدم إيمانهم بقضاء الله وقدره وسقوطهم عند المحن:-

إن الإيمان بالقدر خيره وشره هو أحد أركان الإيمان الذي لا يتم إيمان المسلم إلا بها، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيراً من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهباً في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت علي غير هذا لدخلت النار²، والمنافقون يعبدون الله علي حرف ويسقطون من أول محنة يتعرضون لها قال تعالى: **(وَمِنَ النَّاسِ مَن**

1 صحيح الجامع الصغير 5839.
أرواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني.

يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ
انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)1 ،
قال الحسن رضي الله عنه: هو المنافق يعبد الله بلسانه دون قلبه2،
وهذا حال كثير من منافقي هذا الزمان إذ أنهم إذا أنعم الله عليهم
بالمال والخير الوفير شكر في الإسلام وأشاد به، وإن أصابته فاقة
في المال والولد تهجم على الدين وأهله، ولجأ إلي معصية الله
ورسوله، فحاله حال من قال الله تعالى فيهم: (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا
ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ
عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ)3، وحالهم حال من قال الله تعالى
عنهم: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ
النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاء نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ
اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ. وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ
الْمُنَافِقِينَ)4 .

الثامن: السخرية والاستهزاء بالمؤمنين:

قال تعالى: (وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ

2 الحج 11.

3 الفرطبي 12-17.

4 الفجر 15-16.

5 العنكبوت 10-11.

وآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ. لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ¹.

قال الطبري: بينما رسول الله صلي الله عليه وسلم يسير في غزوته إلى تبوك وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا: انظروا إلي هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات، فأطلع الله نبيه فاتاهم فقال: قاتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله إنما كنا نخوض ونلعب فنزلت الآية، ثم كشف أمرهم، وفضح حالهم وفي رواية أخرى قال المنافقون: ما رأينا مثل قرأونا هؤلاء (أي رسول الله صلي الله عليه وسلم وأصحابه)، أكذب ألسنا ولا أرغب بطونا ولا أجبن عند اللقاء، فنزلت الآيات سالفة الذكر والمنافقون في كل زمان ومكان معروفون باستهزائهم بالمؤمنين الملتزمين بشرع الله عز وجل وكذلك استهزأؤهم في ثوابت وأركان الإيمان مثل الجنة والنار لأنهم لا يدركون أن تلك الأركان واقعة لا محالة وأن استهزاءهم بها مسجل عليهم، وستشهد عليهم أسماعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يفعلون.

التاسع: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف:-

سبق أن ذكرنا بأن المنافقين قد استحوذ عليهم الشيطان وقبلوا سيطرته علي عقولهم، وقلوبهم إتباعاً لشهواتهم وتصوروا أن الحدود التي فرضها الدين قيوداً علي حرياتهم وتصرفاتهم فانقلبت معايير الأمور لديهم، فأصبح المعروف لديهم منكر، والمنكر معروفاً، قال الله عز وجل فيهم: (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَّ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ)¹، ولأن المنافقين يحبون المنكر، ويكرهون المعروف، فإنهم يكرهون ظهور الحق واستعلائه علي الباطل مصداقاً لقول الحق تبارك وتعالى: (لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاء الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ).²

العاشر: موالاتة الكفار من دون المؤمنين:-

إن المنافقين لا يثقون في وعد الله بتمكين المؤمنين في الأرض مصداقاً لقوله تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

1 التوبة 67-68.
2 التوبة 48.

لَيْسَتْخَلْفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمْكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)1، و غالباً يكون المؤمنون الاقل في القوة المادية من أعدائهم ويعتمدون في مواجهاتهم لأعدائهم بعد أخذ الأسباب ،علي تأييد الله عز وجل ونصره لهم، كما يشهد بذلك تاريخ المسلمين منذ الهجرة النبوية الشريفة إلي المدينة المنورة ، إلى انتشار الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، ولكن المنافقين لا يؤمنون بغير الماديات، وتبهرهم القوة المادية، ولا يقيمون للإيمان بالله تعالى، واليقين بنصره للمؤمنين وزنا مصداقا لقوله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)2، ولذا فإنهم يوالون الكفار الأقوى ماديا اعتقادا منهم بأن العزة في موالاتهم والانحياز إلي صفوفهم قال عز وجل: (بَشِيرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَتُّونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا)3.

1 النور 55.

2 محمد 7.

3 النساء 138-139.

الحادي عشر: حرصهم علي المكاسب الدنيوية العاجلة وزهدهم في مكاسب الآخرة:-

قال تعالى: (لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)¹.

ذكر الله عز وجل موقف المنافقين المثبطين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ويبين لنا أنه لو كان سفرا قريبا سهلا لخرجوا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم ليخرجون لوجه الله بل طمعاً في الغنيمة، ولكن بعدت عليهم الطريق والمسافة الشاقة، ولذا اعتذروا عن الخروج وسيحلفون للمؤمنين معتذرين بأعذار كاذبة بأنهم لم يقدرُوا علي الخروج بسبب هذه الأعذار، ولكن الله عز وجل أبطل دعواهم وفضح كذبهم حيث أنهم كانوا يستطيعون الخروج ولم يخرجوا، ورد الله عز وجل هذا السبب إلي شكهم وترددهم وهذا هو مرضهم الذي لازمهم حتى أوردهم موارد الهلاك²، ومثل هذا الطبع والصفة تتكرر مع المنافقين في كل زمان ومكان، فتجدهم يزهدون اشد الزهد في طاعة الله وبذل الجهد والمال في سبيل الله ، بينما هم لا

1 التوبة 42.
2 صفوة التفاسير.

يفرطون في مكسب مادي سيزول حتما، إما بانقضاء حياتهم الدنيوية، أو بنفاذه كما ينقذ زاد المسافر، ويبذلون من أجله الجهد والعرق وربما يهلكون أنفسهم من أجله، ولقد أكد ذلك رسول الله صلي الله عليه وسلم بقوله: أثقل الصلاة علي المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوأ،¹فالتقاعس عن الطاعات سمة ملازمة لهم .

الثاني عشر: التحاكم إلي غير شرع الله تعالى:-

إن شرع الله عز وجل لا يجامل ولا ينحاز إلي فئة دون فئة، فهو الحكم العدل والميزان الحق، والمنافقون يكرهون التحاكم إلي شرع الله لأنه يتعارض مع أهوائهم، وشهواتهم الدنيوية، وعادةً ما يشككون في جدوى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ويتحججون بكثرة الفساد في المجتمع، وأنه في حال تطبيق الشريعة الإسلامية، فإن القصاص سينال أغلبية الناس، ونسوا أو تناسوا أن الفوضى العارمة في أغلب المجتمعات، وغياب الأمن والأمان بها، إنما هو بسبب عدم تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، وذلك بشهادة بعض أعداء الإسلام إذ قال أحدهم: إني أعتقد أن رجلاً كمحمد صلي الله عليه وسلم لو تسلم زمان الحكم المطلق في العالم بأجمعه اليوم لتم

1 متفق عليه.

له النجاح في حكمه وقيادة العالم إلي الخير وحل مشكلاته علي وجه
يحقق للعالم كله السلام والسعادة المنشودة، والحق ما شهدت به
الأعداء، ويقول الله عز وجل في المنافقين نافيا عنهم الأيمان: (فَلَا
وَرَبَّكَ لَا يُوْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي
أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).¹

الثالث عشر: التشكيك في طهارة المجتمع الإسلامي واتهام
المؤمنين بالفاحشة:-

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم
بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ
مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ)² فمن صفات المنافقين أنهم يضمرون كراهية
الملتزمين شرع الله، وسنة نبيه صلي الله عليه وسلم مصداقا لقوله
تعالى فيهم: (وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً)³، بل
يتعدى كرههم للمؤمنين إلي اتهامهم بالفحشاء حقدا وحسدا علي
التزامهم، وليس أدل علي ذلك، من اتهامهم لأم المؤمنين الصديقة
بنت الصديق رضي الله عنها بالفاحشة، قال الفخر الرازي: الإفك
أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء فقد أجمع المسلمون علي أن

1 النساء 65.

2 النور 11.

1 النساء 89.

المراد ما أفك به علي عائشة رضي الله عنها وهي زوجة المعصوم صلوات الله وسلامه عليه.¹

وهكذا هو حالهم في كل زمان ومكان بل أن بعضهم ذهب إلى اتهام الصحابة ومنهم أفضل الناس بعد الأنبياء بالكفر والردة وما كان ذلك إلا لتغلغل سرطان النفاق في عقولهم وقلوبهم والله المستعان.

الرابع عشر: حُبهم للترف، والرياء، وكراهية الأنفاق في سبيل الله:-

إن شك المنافقين في الآخرة جعل الدنيا في نظرهم هي أكبر همهم، لذا فهم يجمعون من أجلها المال ويكرهون الإنفاق في سبيل الله وأداء زكاه أموالهم اعتقاداً منهم بأن المال سيضمن لهم طول البقاء في الدنيا، وإذا فعلوا شيئاً من أعمال البر فعلوها رياء وسمعة، لذا قال الله تعالى عنهم: (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا للصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا)،² وقال عز من قائل: (وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ)،³ وهذا هو حال المنافقين في كل زمان ومكان، فإنهم يكنزون المال حتى

²التفسير الكبير.
¹ النساء 142 .
² التوبة 85.

تتراكم ،ويبخلون في أداء حق الله فيه ثم يفاجئهم الله عز وجل بالموت فتنحسر أنفسهم علي ما كنزوه ثم يكون وبالاً عليهم يوم القيامة، قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: ما من صاحب ذهب، ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمى عليها في نار جهنم فيكوي بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين العباد فيري سبيله اما إلي الجنة واما إلي النار.¹

الخامس عشر: سهولة الحلف المغلظ، والحنث فيه:-
قال تعالى عن المنافقين: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةً مَّعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)²، أي حلف المنافقون بالإيمان المغلظة (لئن أمرتهم ليخرجن) أي للجهاد، قال مقاتل لما بين الله إعراض المنافقين وامتناعهم عن قبول حكمه (صلي الله عليه وسلم) أتوه فقالوا لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا ونسائنا لخرجنا، وإن أمرتنا بالجهاد لجاهدنا فنزلت الآية قل لا تقسموا، أي لا تحلفوا فإن أيمانكم كاذبة (طاعة معروفه)، أي طاعتكم لله ورسوله معرفة، فإنها باللسان دون القلب، وبالقول

³رواه مسلم وأبو داود وصححه الألباني
1 النور 53.

دون العمل،¹ وهذا هو حال المنافقين في كل زمان ومكان فهم يحلفون دائماً لأرضاء من يستمع إليهم ثم ينكثون عهدهم وقت التنفيذ ويتحججون بحجج واهية للتوصل من الوعود التي قطعوها وأكدوها بأيمانهم المغلظة.

السادس عشر: الخوف من الموت أو القتل وكراهية الجهاد في سبيل الله: -سبق أن ذكرنا بأن المنافقين لا يؤمنون بقضاء الله وقدره ويعتقدون إمكان الفرار من الموت أو القتل لمجرد الهروب منه والتخلف عن ساحات القتال، قال الله تعالى عنهم: (الَّذِينَ قَالُوا لِأَخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرِعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)²، ولذا فإن المنافقين يفرعون دائماً من أي تهديد، قال تعالى: (يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ)³، أي يظنون لجبنهم وهلعهم كل نداء، وكل ضرر أنهم يرادون به، فهم دائماً في خوف، ووجل أن يهتك الله سترهم، ويظهر أسرارهم، قال ابن كثير رحمة الله: كلما وقع أمر أو خوف يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم،⁴ لذا فانهم يكرهون الجهاد في سبيل الله، ويتخلفون عنه كلما دعوا إليه، وفي سورة الأحزاب ما يؤكد ذلك بقوله سبحانه وتعالى: (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ

2 تفسير الألويسي.

1 آل عمران 168.

2 المنافقون 4.

3 مختصر تفسير ابن كثير 504/3.

مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا¹.

السابع عشر: نشر التشكيك والأراجيف عن ضعف المسلمين:-
لقد تأصلت في المنافقين عادة نشر الأكاذيب والأراجيف لبلبله الأفكار ونشر أخبار السوء، والإشاعات منذ قديم الزمان وإلى قيام الساعة ومهما مرت بالمسلمين من لحظات ضعف وهوان، فإن الله عز وجل ضمن لهذه الأمة البقاء والنصر في النهاية على أعدائهم، قال الله تعالى: (لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقَفُوا أَخَذُوا وَقَتَلُوا تَقْتِيلًا. سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا)²، قال القرطبي رحمه الله سن الله عز وجل فيمن أرفج بالأنبياء وأظهر نفاقه أن يؤخذ ويقتل،³ ويستفاد

4 الأحزاب 18-19.
1 الأحزاب 60-63.
2 تفسير القرطبي 247/14.

من الآية أن النفاق مرض قديم وكان في عهد الأنبياء قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وسيستمر إلي يوم القيامة.

الثامن عشر: حسدهم للمؤمنين الملتزمين بشرع الله عز وجل:-
إن المنافقين يكرهون الخير للمؤمنين، ويتمنون لهم الشر، حسداً وبغضاً لهم وقد نبه الله عز وجل المؤمنين إلي ذلك البغض والحسد كي يكون المؤمنون علي بينة من أمر هؤلاء المنافقين، ولا يتخذونهم أولياء يلقون إليهم بالموودة، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ. هَآأَنْتُمْ أَولَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَفُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْآنَامِلَ مِنَ الْغِيظِ قُلِ مُؤْتُوا بِغِيظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. إِن تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ وَإِن تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)¹.

ويبين الله عز وجل مدى كراهية المنافقين الشديدة للمؤمنين وظهور إمارات العداوة لهم علي ألسنتهم وما يبطنونه للمؤمنين من البغضاء أكثر مما يظهره بالرغم من انخداع بعض المؤمنين بالمنافقين،

1 آل عمران 118-120.

وظنهم بهم خيراً وإذا خلت مجالسهم منكم (أي من المؤمنين) عضوا أطراف أصابعهم من شدة الحنق والغضب لما يرون من ائتلافكم وهو كناية عن شدة الغيظ (قل موتوا بغيظكم) وهو دعاء عليهم أي قل يا محمد أدام الله غيظكم إلي أن تموتوا،¹ وقوله تعالى (إن تمسكم حسنة تسوهم)، أي إن أصابكم ما يسركم من رخاء وغبيمة ونحو ذلك ساءتهم (وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها)، أي أن أصابكم ما يضركم من شدة وهزيمة سرهم ذلك (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً)، أي أن صبرتم علي أذاهم واتقيتم الله في أقوالكم وأعمالكم لا يضركم مكرهم وكيدهم (إن الله بما يعملون محيط)، أي هو سبحانه عالم بما يدبرونه لكم من مكائد فيصرف عنكم شرهم ويعاقبهم علي نياتهم الخبيثة².

التاسع عشر: عدم القناعة برزق الله :-

إن المنافقين في حالة دائمة من النهم وحب الاستزادة من متاع الحياة الدنيا لأنهم يرون أن الدنيا هي نهاية المطاف، فلا يقنعون فيها بما رزقهم الله تعالى من فضله، كما أنهم لا يؤمنوا بأن الأرزاق والآجال مكتوبة منذ الأزل وحتى يرث الله الأرض وما عليها، لذا

2 تفسير القرطبي (183/1).
1 صفوة التفاسير.

فإن جل اهتمامهم بما سيكسبونه في هذه الحياة الدنيا فقط، قال تعالى: (وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ)¹، وهكذا هو حال المنافقين في كل زمان ومكان فهم يتسخطون على رزق الله ولا ينظرون لمن هو أدنى منهم ولكن ينظرون إلي ما هو أغني منهم فاحتقروا نعمة الله عليهم.

العشرون: سهوله التلفظ بكلمات الكفر والفسوق:-

إن المنافقين لا يقدرون مدي خطورة ما يلفظون به من ألفاظ الإستهانة بالدين والعقيدة فتجدهم كثيراً ما يستسهلون احتقار الدين، أو تكفير المؤمنين الملتزمين بشرع الله، وقد يتلفظ المرء بكلمة هي من سخط الله لا يلقي لها بالاً فيهوي بها في نار جهنم سبعين خريفاً، أو ابعد ما بين المشرق والمغرب، كما ورد ذلك فيما روي عن رسول الله صلي الله عليه وسلم: إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يري بها بأساً، يهوي بها سبعين خريفاً في النار²، وهذا الطبع في المنافقين ذكره الله تعالى في سورة التوبة: (يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ

2 التوبة 58-59.
1 رواه الحاكم والترمذي وصححه الألباني.

إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ
فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ¹.

1 التوبة 74.

الفصل الثامن

موقف المسلم من وساوس الشك والريبة

إن تعرض المؤمن لوساوس الشك والريبة أمر وارد، ولا يوجب الخوف من الوقوع المحذور، إلا إذا توقف عندها، وبني أفعاله وأقواله على ذلك الشك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وكثيرا ما تعرض للمؤمنين شعبة من شعب النفاق ثم يتوب الله عليه، وقد يرد على قلبه ما يوجب النفاق، ويرفعه الله عنه والمؤمن يُبتلي بوساوس الشيطان، وبوساوس الكفر التي يضيق بها صدره، كما قال الصحابة: يا رسول الله إن أحدنا ليجد في نفسه ما لأن يخر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به، فقال صلى الله عليه وسلم ذاك صريح الإيمان وفي رواية ما يتعاضم أن يتكلم به قال: الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة،¹ ومعنى الحديث أن حصول هذا الوسواس مع هذه الكراهية العظيمة له، ودفعه عن القلب هو من صريح الإيمان كما المجاهد الذي جاءه العدو فدافعه حتى غلبه فهذا أعظم الجهاد الصريح.

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال

1 رواه أحمد 1/ 235 بسند صحيح.

بلى ولكن ليطمئن قلبي،¹ والخوف من عدم قبول العمل الصالح عند الله عز وجل هو من الأمور المندوب إليها، ما لم يصل ذلك الخوف إلى درجة اليأس والقنوط من رحمة الله وذلك مصداقاً لقول الله عز وجل: (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ). أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)²، وفي هذا الشأن سألت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولها: أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر ويخاف، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يا بنو الصديق بل هو الرجل يصلي، ويصوم، ويتصدق، ويخاف أن لا يتقبل منه³.

1 صحيح الجامع 675.

2 المؤمنون 60-61.

3 رواه الترمذي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

الفصل التاسع حكم المنافقين في المجتمع الإسلامي

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن المنافقين: هم في الظاهر مؤمنون يصلون مع الناس، ويصومون، ويحجون، ويغزون، والمسلمون يناكحونهم ويوارثونهم، كما كان المنافقون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يحكم النبي صلى الله عليه وسلم في المنافقين بحكم الكفار المظهرين للكفر لا في مناكحتهم، ولا موارثتهم، ولا نجد ذلك، بل لما مات عبد الله ابن أبي سلول وهو من أشهر الناس بالنفاق، ورثه ابنه عبد الله، وهو من خيار المؤمنين، وكذلك سائر من كان يموت منهم يرثه ورثته المؤمنون، وإذا مات لأحدهم من يورث، ورثوه مع المسلمين، فكان صلى الله عليه وسلم حكمه في دمائهم وأموالهم كحكمه في دماء غيرهم، لا يستحل منها شيئاً إلا بأمر ظاهر، مع أنه كان يعلم نفاق كثيراً منهم وفيهم من لم يكن يعلم نفاقه، قال تعالى: (وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ)¹.

1 التوبة 101.

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: بأن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه: أن لا إله إلا الله كلمة على الله كريمة، لها عند الله مكانة، فهي كلمة من قالها صادقاً أدخله الله بها الجنة، ومن قالها كاذباً حققت ماله ودمه، ولقي الله غداً محاسبه،¹ وقد استدل بهذا من يرى قبول توبة الزنديق وهو المنافق إذا أظهر العود إلى الإسلام ولم يُر مثله بمجرد ظهور نفاقه، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعامل المنافقين بنفاق بعضهم، وهذا قول الشافعي، وأحمد في رواية عنه وحكاة الخطابي عن أكثر العلماء، والله أعلم،³ والمؤمنون مأمورون بالإعراض عن ظهر نفاقه بالفعل أو بالقول، إعراض مقت واجتناب وعدم إظهار المودة لهم مصداقاً لقول الله عز وجل: (يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآوَاهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)¹، ورُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: لا تقولوا للمنافق سيد فإنه إن يكن سيدكم فقد

2 رواه البزار عن عياض الأنصاري.
3 جامع العلوم والحكم.

أسخطتم ربكم²، وفي اعتزال مجالس المنافقين التي يُستهزأ بآيات
الله فيها قال الله سبحانه وتعالى: (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا
سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى
يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ
وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا)³.

1

1 التوبة 94-95.
2 رواه أحمد وأبو داود.
3 النساء 140 .

الفصل العاشر

طرق الوقاية من النفاق

تبيين فيما سبق خطورة النفاق ،ومصير كل من يقع فيه يوم القيامة الذي هو مستقبل البشرية، وسائر المخلوقات، وإن لم يتم يتخذ المرء أسباب الوقاية اللازمة من ذلك المرض وأعراضه فلا شك من الوقوع فيه حتماً وخاصة مع ازدياد الغفلة والجهل في الدين واللذين هما في اطراد كبير مع مرور الزمن, وصدق القائل:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

وسنستعرض فيما يلي: الطرق المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم للوقاية من هذا المرض الفتاك:

الاول: قطع الشك باليقين في أركان الإيمان الست وما يمت لها بصلة:

فقد علمنا بأن الشك والريبة هما المحركان الرئيسان لمرض النفاق ولا يتم التغلب عليهما إلا بدوام التدبر، والتفكر في عجيب صنع الله في خلقه وليكن قائد المسلم في ذلك هو قول الله عز وجل: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ¹، وفي أكثر من آية في كتاب الله الكريم نجد حض المسلم على دوام التدبر في إعجاز الخالق سبحانه وتعالى وتدبر القرآن واستشفاف الإعجاز العلمي واللغوي والتشريعي فيه. وعلى المسلم أن يهتم بجانب اليقين في البعث بعد الموت لأنه مدار الفرق بين المؤمنين والكفار، والمنافقين، ولا تتعجب أخي المسلم بأن السبب الرئيس لخلق السماوات والأرض، وتسخير الشمس والقمر، وهذا الخلق المعجز جعله الله عز وجل سببا لليقين في البعث بعد الموت فقد قال عز من قائل: (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ)².

وعلى كل من دخل في الإسلام أن يعلم أن سلاح إبليس ضد بني آدم منذ خلقه إلى قيام الساعة هو التشكيك في البعث بعد الموت، حيث قال عز وجل: (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَوْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ)³، وقال تعالى: (قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي

1 آل عمران 190-191.

2 الرعد 2.

1 سبأ 20-21.

كَانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ أُنِّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ. أُنِّدَا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أُنِّدَا
لَمَدِينُونَ. قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلَعُونَ فَاطَّلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ. قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ
لَتُرِيدِينَ. وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ. أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ. إِلَّا مَوْتَنَا
الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ
الْعَامِلُونَ¹.

ولابد للمسلم أن يعلم أن عدم الإيمان أو الشك في الآخرة هو بمثابة
التكذيب لله عز وجل، وهو شعبة من شعب الكفر المخرجة عن ملة
الإسلام ويؤكد ذلك ما ورد في الحديث القدسي: كذبتني ابن آدم ولم يكن
له ذلك، وشتمني، ولم يكن له ذلك فأما تكذبيه إياي فزعم أنني لا أقدر أن
أعيده كما كان وأما شتمه إياي فقله: لي ولد فسبحاني أن أتخذ صاحبة
أو ولدا.²

وانظر أخي المسلم كيف قرن الله عز وجل ذنب التكذيب باليوم الآخر
مع الإدعاء بأن الله عز وجل قد اتخذ ولدا تعالي الله عما يقولون علوا
كبيرا.

وإن من ثمار اليقين باليوم الآخر والشعور بقربه مصداقا لقول الحق
تبارك وتعالى: (انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا)، هو نجاة صاحبه من
الوقوع في النفاق، ويكون سببا للخشية من التقصير في عبادة الله، تلك

2 الصافات 51-61.
3 رواه البخاري 4327.

الخشية التي تدفع المؤمنين للاستزادة من العمل الصالح، وتخوفهم من الوقوع في أي معصية لله وإن صغرت فالعبرة ليست بصغر المعصية ولكن العبرة بعظم من يُعصي، والخوف من الله عز وجل في الدنيا هو طوق النجاة من الخوف في يوم البعث ويؤكد ذلك ما ورد في الحديث القدسي الذي يقول المولي عز وجل فيه: (وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمين ولا خوفين إن هو آمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي وإن هو خافني في الدنيا أمنته يوم أجمع عبادي)¹.

إن الدليل علي عدم الشك والارتياب في اليوم الآخر هو الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله بالمعني الشامل للجهاد، فكل طاعة جهاد، وكل إمساك عن معصية جهاد، والبذل بالمال في أوجه الخير والصدقة جهاد، والقتال في سبيل الله جهاد، وهذا مصداقا لقول الله عز وجل: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)².

الثاني: العلم بأضرار النفاق:-

إن النفاق من أهم أسباب إحباط العمل، كما أنه هو السبب الرئيس لعذاب القبر، وشدة الموقف يوم القيامة، والولوج في نار جهنم أعاذنا الله من

1 صحيح الجامع 4332.
2 الحجرات 15.

ذلك فقد، قال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ. وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ)1.

ولقد علمنا فيما سبق بأن المنافق أو المرتاب حين يسأل في القبر، فيقول ها ها لا أدري كنت سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، ويرى مقعده من النار، ثم يعذب، وأما في يوم البعث، فقد علمنا الفصل بين المؤمنين الموقنين، وبين المنافقين المرتابين بسور له باب باطنه من دونه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب، ويقع المنافقون في ظلمة حالكة، ويستجدون بالمؤمنين لانتظارهم والاستبصار بنورهم، فلا يُمكنهم الله عز وجل من ذلك، والأحاديث والآيات الواردة في عذاب المنافقين في النار معروفة سبق ذكرها.

الثالث: كثرة ذكر الله وقراءة القرآن وتدبره:-

إن من أهم صفات المنافقين كما علمنا ،هي قلة ذكرهم لله عز وجل، وعدم تدبرهم للقرآن الكريم قال تعالى: (وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا)¹، وقال تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)²، وفي المقابل جاء تحذير الله عز وجل لعباده المؤمنين من عاقبة الانشغال بمتاع الدنيا عن ذكر الله عز وجل ومن العجيب أن يأتي هذا التحذير في سورة المنافقين مما يفهم منه أنكم أيها المؤمنون إن انشغلتم عن ذكر الله، فإنكم ستقعون في النفاق قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)³، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله موضحاً فوائد قراءة القرآن وذكر الرحمن : قراءة القرآن علي الوجه المأمور به تورث القلب الإيمان العظيم وتزيده يقينا، وطمانينة، وشفاء، قال تعالى: (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا)⁴، وقال تعالى: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)⁵، وقال تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)⁶، وذكر الله بمفهومه الأعم يشمل المواظبة علي أذكار

1 النساء 142.

2 النساء 82.

3 المنافقون 9.

1 الأسراء 82.

2 البقرة 2.

3 التوبة 124.

الصباح والمساء من أحاديث السنة النبوية الشريفة والمحافظة علي الصلاة في أوقاتها مع الجماعة، والصيام، والزكاة، والحج، والعمرة واجتناب المحرمات، وفعل الطاعات، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والرضا بقضاء الله وقدره، وحمده علي نعمه، والدعاء، والتوبة، والاستغفار، كل ذلك من ذكر الله عز وجل الذي ينجي صاحبه من عذاب النار، مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما عمل آدمي عملا أنجي له من عذاب الله من ذكر الله،¹ ومن اهم فرائض الذكر القولي والفعلي التي تتجي صاحبها من مرض النفاق المحافظة علي الصلاة مع الجماعة في المسجد وإدراك تكبيرة الإحرام مصداقا لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: من صلى لله أربعين يوما في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق،² وما افضل أن يجعل المسلم مضمون هذا الحديث هدفا لحياته فيكون في محاولة مستمرة لإدراك هذه الصلاة، حتى تكتب له البراءتان، فيفوز بدخول الجنة، وذلك هو الفوز العظيم.

4 رواه أحمد وصححه الألباني.
5 رواه الترمذي وحسنه الألباني.

الخاتمة

لكل من يهيمه أمر هذا الدين أتقدم بهذا الجهد المتواضع مؤكدا بأنني لم آت بشيء جديد فالآيات، والأحاديث النبوية الصحيحة، وما ذكر من آثار الصحابة الموقوفة، والمرفوعة وآراء أهل العلم في موضوع النفاق والوارد في هذا البحث إنما هي موجودة منذ بزوغ شمس البعثة إلى زماننا هذا، وستبقي باذن الله تعالى إلي ما شاء الله بحفظه لهذا الدين مصداقا لقوله جل شأنه: **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) 1**.

وأني لأهيب بالمخلصين من هذه الأمة ممن ولأهم الله عز وجل أمانة وضع المناهج الدينية أو البرامج الإعلامية الإسلامية المسموعة والمرئية، والدعاة في سبيل الله ، ان يوضحوا حقيقة النفاق وإزالة غبار الغفلة المتراكم عبر عقود من الزمان مما أدي إلى اندثار هذه الحقيقة، حتى تعرضت أجيال وأجيال للوقوع في هذا المرض المهلك الذي يسبب خسارة الإنسان المسلم لدينه ودنياه، فما لم تحدث صحوة تزيل هذا الغبار كان في الآخرة فئام من هذه الأمة مقولتهم ما ورد في كتاب الله عز وجل: **(ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ**

قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ
عَنَّهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ¹، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم الذين
قالوا (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون
أنهم علي شيء)²، أي المنافقين وأملنا في الله كبير أن يتم تصحيح
مفهوم النفاق في المناهج التعليمية والإعلامية والله الموفق إلي
سواء السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

1 الأنعام 23- 24.
2 تفسير القرطبي 305/17.

الفهرس

- 1- المقدمة.....1
- 2- معني النفاق في اللغة والشرع.....5
- 3- نفاق الخوف من القتل أو السبي.....7
- 4- نفاق الريبة والشك في القرآن الكريم.....10
- 5- نفاق الريبة والشك في السنة النبوية.....17
- 6- النفاق مستمر إلي يوم القيامة.....21
- 7- النفاق درجات.....23
- 8- الصفات القولية والفعلية للمنافقين.....26
- 9- موقف المسلم من وساوس الشك والريبة.....47
- 10- حكم المنافقين في المجتمع الإسلامي.....49
- 11- طرق الوقاية من النفاق.....52
- 12- الخاتمة.....62

المراجع

- 1- صحيح البخاري..... للإمام البخاري.
- 2- صحيح مسلم..... للإمام مسلم.
- 3- الموطأ..... للإمام مالك.
- 4- سنن ابن ماجه..... للإمام ابن ماجه.
- 5- سنن أبي داود..... للإمام أبي داود.
- 6- سنن الترمذي..... للإمام الترمذي.
- 7- مسند الإمام أحمد..... للإمام أحمد بن حنبل.
- 8- كتاب الإيمان..... للشيخ الإسلام ابن تيمية.
- 9- جامع العلوم والحكم..... للحافظ ابن رجب الحنبلي.
- 10- صحيح الجامع الصغير وزيادته..... للشيخ محمد ناصر الألباني.
- 11- تفسير ابن كثير..... للحافظ ابن كثير.
- 12- تفسير القرطبي..... للإمام القرطبي.
- 13- تفسير الألوسي..... للإمام الألوسي.
- 14- تفسير البيضاوي..... للإمام البيضاوي.
- 15- التفسير الكبير..... للإمام الفخر الرازي.
- 16- صفوة التفاسير..... للشيخ محمد علي الصابوني.